في كلاه، فلم يلبث إلا مدبدة أعلمته أنه لا يعاود هذه الحميات، وكان كذلك، وإنما صدني في أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خراجاً في كلاه أنه يجم قبل ذلك حمى غب وحميات أخر فكان للظن بأن تلك الحمى المخلطة من احتراقات تريد أن تصير ربعاً موضعاً أقوى. ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل معلق منه إذا قام وأقعدت أنا أيضاً أن أسأله عنه، وقد كان كثرة البول يقوي ظني بالخراج في الكلى، إلا أني كنت لا أعلم أن أباه أيضاً ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء، وهو أيضاً قد كان يعتريه في صحته فينبغي ألا يغفل بعد ذلك غاية التقصي إن شاء الله، ولما بال المدة أكببت عليه بما يدر البول، حتى صفا البول من المدة ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم والكندر ودم الأخوين وتخلص من علته وبرأ برءاً تاماً سريعاً في نحو من شهرين. وكان الخراج صغيراً ودلني على ذلك أنه لم يشك إلى ابتداء ثقلا في قطنه، ولكن بعد أن بال مدة قلت له هل كنت تجد ذلك؟ قال نعم، فلو كان كثيراً لقد كان يشكو ذلك، وأن المدة تنبث سريعاً تدل على صغر الخراج. فأما غيري من الأطباء فإنهم كانوا بعد أن بال مدة أيضاً لا يعلمون حالته البتة».

(البقية في العدد القادم)

أساتذة الجيل:

٢ - أحمد تيمور باشا

ندوته في درب سعادة

للأســـتاذ محمد فهمي عبد اللطيف

«إلى الصديق الكريم، والباحث المحقق، الدكتور محمد سامي الدهان، وفاء بما وعدته من الإفاضة في الحديث عن أولئك الأساتذة الأماثل الذين مهدوا الطريق أمام هذا الجيل ...»

كانت منازل الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لمهد أدركناه، منازل لأهل الفضل من العلماء والأدباء والشعراء، ومجامع للفحول في كل علم وفن، يلتقون فيها كل ليلة أو كل أسبوع، فيتباحثون ويتجادلون، ويسمرون، ويضحكون، ويذهبون في فنون القول مذاهب، فما شئت من حقيقة علمية خافية، أو طرفة أدبية رائعة، أو فكاهة حلوة تروى وتحفظ.

وكان الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لمهد أدركناه، يرون تقريب العلماء والأدباء حلية ومظهراً من مظاهر الثالة والعراقة، فكانوا يفسحون لهم في جانبهم وفي منازلهم، ويبذلون لهم من جاههم ومالهم ما وسعتهم القدرة على ذلك، فكانت هذه المجالس هي مجالي التفكير العلمي والأدبي والتدبير السياسي والاجتماعي وليس من شك في أن هذه المجالس قد أثرت في حياتنا الفكرية أكثر مما أثرت «الصالونات الأدبية» في الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر، ولكنها من الأسف لم تجد المؤرخ الذي يدون أخبارها، ويذكر آثارها..

كانت في دار الأميرة نازلي هانم فاضل ندوة، وفي دار آل البكري ندوة، وفي دار سليمان أباظه باشا ندوة، وفي دار الإمام محمد عبده بعين شمس ندوة، وفي دار آل عبد الرازق ندوة، وفي دار آل القاياتي ندوة، ولا تزال منها بقية باقية... وكان من أحفل هذه الندوات وأعمرها ندوة أحمد تيمور في درب سعادة حيث كانت دار آل تيمور الفسيحة الجنبات المفتحة الأبواب...

ولقد رأيت فيما قدمنا لك أن والد أحمد تيمور باشا قد عكف في آخر حياته على جمع الكتب ومجالسة أهل العلم والأدب في داره، فلما شب الابن جرى على سنة أبيه في هذا، وكانت له به قدوة، ففتح داره لشيوخ العصر وأعلام اللغة والأدب وكل من يمت إلى هذا بسبب، فكان يجتمع في هذه الدار الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بن محمود الشنقيطي والشيخ حسن الطويل والشيخ أحمد أبو خطوة والشيخ طاهر الجزائري والسيد محمد البيلاوي والشيخ محمد شاكر والشيخ حسن منصور والشيخ أحمد مفتاح ويحيى أفندي الأفغاني ومحمد أفندي أكل والشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهوري، والشيخ عبد الرحمن الكواكبي والسيد عبد المحسن الكاظمي ورفيق بك المظم، والسيد محمد رشيد رضا، ثم كان بعد هؤلاء رعيل آخر من أعلام الأدب واللغة ورجال القلم والصحافة والمستشرقين الذين كانوا يتوافدون على مصر للدراسة والتحقيق العلمي والبحث عن المخطوطات النادرة، فكانت ندوة أشبه بجامعة علمية نمت لها كل فروع المعرفة ووسائل الدراسة العلمية والأدبية وامتازت بالتخلص من قيود النظم والقوانين...

فى هذه الندوة تخرج أحمد تيمور ، ودرس وحصل وأفاد ، واستطاع أن يقرأ جميع ما جمع من أمهات الكتب ونوادر المخطوطات وأن يعلق عليها التعليقات المفيدة ، فبعد أن كان يجلس فى هذه الندوة مجلس التلميذ المستفيد أصبح يجلس مجلس الأستاذ المفيد ، وأصبح أهل العلم يتوافدون عليه للأخذ عنه والإفادة منه ويرجعون إليه فيما يريدون من تحقيق أدبى أو تعليق لغوى .

لم يدون أحد ما كان يجرى فى هذه الندوة من المطارحات والمناقشات ، ولو جمع هذا لتحصل منه علم كثير وأدب كبير ، ولكنا نجد تيمور باشا يشير إلى ذلك إشارات عابرة مقتضبة فيما كتبه فى تراجم أعيان القرن الثالث عشر الهجرى ، فيقول فى ترجمة الشيخ أحمد مفتاح : « ولما انتقل إلى مدارس الأقاليم صار يحضر إلى القاهرة فى فترات فينزل عندنا ، ويجتمع به إخوانه وأصدقاؤه فى ليال كنا نحييها بالمطارحات الأدبية وإنشاد الأشعار » .

ويقول فى ترجمة أستاذه الشيخ حسن الطويل : « ومن غريب المصادفات أنه زارنى قبل وفاته بيومين فى ليلة مقمرة ، فجلسنا فى صحن الدار نلعب الشطرنج ، وكان مولعاً به مع قلة إجادته فيه ، فقال لى عندما أراد الذهاب : نحن الآن فى الامتحان وقد قربت الأجازة ، وصدرى ضيق فى هذه الأيام من الناس ، ونفسى تجنح للعزلة ، فهل تعرف لى مكاناً أقضى فيه بعض أيام بعيداً عنهم ؟ فقلت : يا سيدى . إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسافر معاً إلى ضيعتنا التى بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه ، فقال : نعم الرأى هذا ، وسأستصحب معى ولدى حسناً ليشترك معنا فى القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ، ويسر له العزلة ولكن فى دار قراره » .

ويظهر أن ندوة تيمور لم تكن لها ليلة معينة فى الأسبوع ، بل كانت مفتحة الأبواب دائماً ، وكان إخوانه يجتمعون به كل ليلة وكل وقت يروق لهم ، فهو يحكى عن نفسه أن أستاذه الشنقيطى أشار عليه بقراءة أمالى أبى على القالى قراءة إمعان وتدبر ، فاعتزل الناس ثلاثة أيام لهذا الغرض ، فلم ترق هذه العزلة صديقه محمد أفندى أكل فعاد إليه بعد الأيام الثلاثة ومعه زجل ينحى فيه على الشنقيطى وعلى أبى على القالى اللذين تسببا فى انقطاعه عن الإخوان وفيه يقول :

يا سيد احمد يا تيمور ... يا للى منعنا من أنسك
هو ودادك من بنور ... حتى كسرته من نفسك
أهديك سلام يشحن وابور ... يقطع محطات على حسك
هو الكتاب ده م الجنة ... ولا كلام المجريطى
أبو على كان لك محنة ... الله يجازى الشنقيطى

***

بكره يجينا الشيخ مفتاح ... يحلى السهر فى القهارى
نفضل ندردش للأصباح ... والشيخ بروحه موش دارى
عبيط خفيف عالم فلاح ... يجوز شوارب هوارى
أوقات كده يبقى زنه ... وأوقات نشوفه رهريطى
أبو على كان لك محنة ... الله يجازى الشنقيطى

وهو زجل طويل ، وكله على هذا النحو من الطرافة والدعابة ، وقد أورده جميعه تيمور باشا فى كتابه أعيان القرن الثالث عشر .

ويحكى تيمور باشا فى ترجمة محمد أفندى أكل أيضاً فيقول : « وأطلعته على رسالة عندى جمعها الشيخ أحمد الفحماوى وذكر بها كنى وألقاباً وضعها لفضلاء أواخر القرن الثالث عشر على سبيل المزاح والدعابة ، فلقب كل واحد بلقب شاعر متقدم أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة الملقب به أو شيئاً يغلب على أخلاقه وأحواله ، فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنوناً وشرع فى وضع رسالة تماثلها فى فضلاء عصره ، وسألنى مشاركته فيها فامتنعت خشية اللوم فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على رفاعة بابن المقنع لنحافته ودخول شدقيه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى افندى الأفغانى بالقدورى لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيهاً له بالقدر من الفخار ، والقدورى اسم عالم مشهور من الحنفية ، ولقب نفسه بابن قتيبة ، ثم تركه وتلقب بالمقوقس ، ولما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح اسلامة طويته بالأبله البغدادى غضب منه ، وكاد يتفاقم الشر بينهما ، وغضب منه صاحب آخر وكان قصيراً ممتلئاً يتدحدح فى مشيته كما يتدحدح البط لأنه لقبه بابن بطوطة » . .

وهكذا كانت ندوة تيمور باشا مجالا للمداعبات الأدبية والفكاهات الطريفة بين الأصدقاء والإخوان كما كانت مجال علم وأدب ، ودراسة وتحقيق .

« له بقية »

محمد فهمى عبد اللطيف